1

(ذات الصواري.. تكتيك بحري لا زال يحير المؤرخين)

في تاريخ 260 قبل الميلاد سيطر الرومان على البحر المتوسط حتى سمي ببحر الروم، واستمرت هيمنتهم المطلقة عليه حتى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، حين كون العرب المسلمون أول أسطول بحري لهم بقيادة عبد الله بن قيس الحاسي، فقبل هذه الحقبة التاريخية لم يكن للعرب تجربة للقتال عبر البحار إذ كانوا يرهبون البحر بشدة، كما لم يكن لهم أي إنجاز يذكر على البحر حتى تاريخ 655م حين جرت معركة ذات الصواري بقيادة البطل العربي عبد الله بن ابي السرح والتي حقق المسلمون فيها نصرا ساحقا على الروم، وأنهت سيطرتهم على البحرالمتوسط كأول معركة بحرية يخوضها العرب وبفارق كبير في الإمكانات بين الطرفين، إذ بلغ عدد سفن الأسطول العربي مئتي سفينة في مواجهة ألف سفينة رومانية قوام الأسطول البيزنطي، ولا زال المؤرخون يقفون عاجزين عن تفسير وفهم ما جرى في ذات الصواري التي اتبع فيها البطل العربي ابن أبي سرح تكتيكا مدهشا مكنه من التغلب على أقوى دولة في العالم حينها، حيث قام الغواصون المهرة من المقاتلين العرب بربط السفن العربيــة بالسفن البيزنطيــة بالسلاسل والحبــال الأمر الذي ساعدهم على الخروج من سفنهم والمشــي على الجسور والحبـال التي تربط بين السفن العربية والبيزنطية، حتى نزلوا على متن سفن الروم لتتحول المعركة من بحرية لم يجربها العرب من قبل إلى معركة برية كاملة، تفوق فيها العرب حتى امتلأت البقعة التي دارت فيها المعركة بالكثير من صواري السفن فسميت بذات الصواري.

2

(الغيرة.. عربية الميلاد)

لأن المرأة هي شرف العربي وعنوان عرضه، فقد استبسل العرب في حمايتها والذود عنها، لذلك كانت الغيرة على النساء سلاحهم الأول في وجه كل وضيع يحاول المساس بهن، بل إن من العرب من تجاوز ذلك إلى وأد بناته مخافة إلحاق العار بهم، فكانت أول قبيلة وأدت بناتها من العرب هي قبيلة ربيعة، وكان ذلك يوم نُهبَت بنتٌ لأمير لهم، واستردها بعد صلح، فخُيرت بين أبيها وبين من هي عنده، فاختارت من هي عنده، فغضب والدها وسنَّ لقومه الوأدَ ففعلوه غيرةً منهم، وبعد هذه الحادثة شاع الوأدُ عند العرب، وقد كان من طباع نخوة العرب وغَيْرتهم أنه كان مِن عادتهم أنهم إذا وردوا المياه أن يتقدّم الرجال والرِّعاء ثم النساء حيث يغسلن أنفسهنّ وثيابهنّ ويتطهرن آمنات ممن يزعجهنّ، كما كانوا يفخرون بغضِّ البصر عن الجارات ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، وكان أجمل تصوير لذلك قول عنترة:

|  |
| --- |
| وأغضّ طَرْفي إنْ بدت لي جارتي https://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif  حتى يواري جارتي مأواها  إني امرؤٌ سمحُ الخليقة ماجدٌ  لا اتبع النفسَ اللجوجَ هواهاhttps://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif |

وإن من أكثر صور الغيرة دهشة ما حُكي من أن أعرابياً في الجاهلية زُفّت إليه عروسه على فرس، ثم عقر الفرس التي ركبت بعد ذلك، خشية أن يركب السائس مكان جلوس عروسه ولا يزال مكانها دافئا، وحين جاء الإسلام كان رسولُ الله أشدَّ الخَلْق غَيْرة، وكان أصحابُه رضوان الله عليهم أشد الناس غَيْرة، حتى أضحتْ مواقفُهم مضْرب المَثَل كما ورد في قصة سعد بن عبادة رضي الله عنه و التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه، أن سعدا قال: "يا رسول الله، لو وجدتُ مع أهلي رجلًا لم أمسَّه حتى آتي بأربعة شهداء؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:نعم، فقال سعد: كلَّا والذي بعثك بالحق، إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: اسمعوا إلى ما يقول سيدكم؛ إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني".. وكان من ألطف السير فيما أُثر من العبر، أن امرأة قدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق مدعية على زوجها بخمسمائة دينار (مهرها)، وحين أنكر الزوج قال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك. قال: أحضرتهم. فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة، ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي.. فقال الزوج: ماذا تفعلون؟ فقال الوكيل: ينظرون إلى أمرأتك كى يعرفوها.. فقال الزوج إني أُشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُكشف عن وجهها، فقالت المرأة: فإني أُشهِد القاضي أني وهبت له هذا المهر وأبرأتُ ذمته في الدنيا والآخرة، فقال القاضي وقد أُعجِب بغيرتهما: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق، وهناك الكثير والكثير من قصص الحَمية والغيرة العربية، حتى قيل بأن الغيرة ولدت في بلاد العرب

3

(حين إنار العرب الغرب)

يقول المؤرخ والباحث الأميركي مارتن كرامر: "لو كانت جوائز [نوبل](https://www.aljazeera.net/home/getpage/4747cd0f-a6e2-4d5d-9e36-95d31bbdd07b/98f1802b-9fa0-4ee2-a9c7-4b5dd4ee7ad5) قبل ألف عام، لذهبت حصريا إلى علماء العرب والمسلمين"..الحديث عن تفوق العرب وإفادة أوروبا من تقدمهم في مختلف المجالات يعززه التوقف عند أهم ما قاله عدد كبير من المؤرخين الغربيين عن تاثير الحضارة العربية الإسلامية على اوروبا ونهضتها، حتى غدا العرب في القرون الوسطى محور التفكير العلمي في الحياة، لذلك كان منطلق النهضة الأوروبية هو الحضارة العربية التي صدرها العرب للغرب عبر نافذة الأندلس التي تمكنت في ذلك الحين من استثمار الإنجازات العربية في الملاحة، خاصة علم الملاحة التي ورثتها الدولة الإسبانية وبفضلها أصبحت القوة العظمى الأولى قديما، الامر الذي مهد الطريق لاكتشاف العالم الجديد كالأمريكيتين، بل إن الإعجاب الذي يسكننا كلما تعرفنا على إنجاز علمي عربي أفاد البشرية، سيتحول إلى حالة من الاعتزاز حين نحظى باستعراض ميادين السبق في النتاجات الصناعية التي تصدرها العرب وصدروها إلى أوروبا التي استفادت منها وكانت نواة لما وصلوا إليه اليوم من تقدم، كصناعات المنسوجات والجلود وكذا الصناعات المعدنية كالفولاذ والذهب والسلاح والسيوف وَمفاتيح الأبواب. كما استفادوا من صناعة العرب للورق والخزف والسفن والزجاج والكريستال، إلى جانب استفادتهم من طرق تبليط العرب للدور والشوارع وإنارتها ليلا، وانتهجوا أسلوب العرب في استخدامهم للريح لتحريك الطواحين الهوائية. كما يدين الأوربيون بالفضل للعرب في طريقة دراسة طبيعة الارض وتحليلها كي تزرع بالمحصول المناسب لضمان وفرته وجودته، إلى جانب تعريفهم بمسألة العناية بالحدائق العامة والخاصة من حيث اختيار الموقع وتنوع الاشجار والنباتات. وهي نتاجات وإنجازات أسهمت في تقدم الحضارة الإنسانية بصورة مثلى استدعت شهادات الكثير من المؤرخين والمفكرين الاوروبيين الذين تصدوا لمحاولات التقليل من دور وإسهامات العرب في إنارة ليل أوروبا الحالك في تلك الفترة. ويجدر الإشارة هنا إلى المقولة المنصفة للمستشرقة الألمانية (زيجرد هونكه) التي أشارت في كتاب لها بالقول: "إن الحضارة الغربية قد ولدت على أرض صقلية الإسلامية". وعزز هذا الإنصاف المؤرخ الفرنسي دريبار الذي قال: " لقد حان الوقت للاعتراف بفضل العرب فيما وصلنا إليه من تحضر، فالظلم المبني على الحقد الديني والتعصب القومي لا يدوم أبدا".

(أول إعلان في التاريخ)

إن مما هو مُسَلم به لدى عامة الناس أن الإعلانات التي يشاهدها الناس وبصورة يومية في الشوارع أو على شاشات التلفاز أو عبر منصات السوشيل ميديا، سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية، إنما هي أساليب ترويجية جاءتنا من الغرب، لكن دعونا نتوقف عند ميلاد أول إعلان في التاريخ أين كان؟ وكيف؟، إذ يعتقد الكثيرون منا بأن منطلق الإعلانات التسويقية بمضامينها وأنماطها المختلفة كان غربيا، لكن ما لم يعلمه غالبية الناس أن أول إعلان في التاريخ تعود أحداثه إلى فترة العصر الأموي في المدينة المنورة، وقصته تحكي أن الشاعر ربيعة بن عامر الملقب بالدارمي، كان شاعرا ومغنيا ظريفا يعيش في الحجاز، وعندما تقدم به العمر ترك نظم الشعر والغناء وتنسك وأصبح متنقلاً بين مكة والمدينة للعبادة، وذات مرة زار المدينة والتقى فيها بصديق له من الكوفة قدم إلى المدينة للتجارة، وكان من ضمن ما يبيع خُمُر عراقية، وهي ما تغطي بها المرأة رأسها، حيث باع الملونة منها فقط وتكدست منها الخُمُر ذات اللون الأسود، فشكا ذلك لصديقه الشاعر ربيعة بن عامر، الذي طلب منه ألا يقلق، ونظم أبيات من الشعر قال فيها:

قل للمليحة في الخمار الأسود

ماذا فعلت بناسك متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه

حتى وقفت له بباب المسجد

فسلبت منه دينه ويقينه

وتركته في حيرة لا يهتدي

ردي عليه صلاته وصيامه

لا تقتليه بحق دين محمد

وكانت هذه الأبيات كفيلة بجعل النساء يقبلن على شراء الخُمُر حتى نفذت، وعقبها عاد شاعرنا إلى زهده وتنسكه، ومنذ ذلك الحين دأبت نساء العرب والمسلمين على ارتداء أغطية الرأس السوداء، وصُنفت الحادثة على أنها أول إعلان في التاريخ.

4

(فنان عباسي غنت خلفه أوروبا)

يقول عنه الباحث الإنجليزي (جون جيل) بـفصل كامل في كتابه بعنوان "طائر بغداد الأسود.. المبدع الأول لموسيقى الروك آند رول"، واصفاً تفوقه الموسيقي في الأندلس بـ "ثورة التحديث التي بنى عليها كلّ من الشرق والغرب الإرث الفني اللاحق لحركة الفنّ في الأندلس". الباحث الإنجليزي في هذا الوصف يتحدث عن فنان عربي عشق الموسيقى الشرقية التي تعلمها على يد معلمه إبراهيم الموصلي الذي قدمه ذات يوم صوتا عذبا ليغني في مجلس الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أعجب بصوته وطلب من الموصلي الاعتناء به، وحين ازداد إعجاب الرشيد والناس به سرت الغيرة في نفس الموصلي فهدده بالقتل إن لم يغادر بغداد، فغادرها مرتحلا إلى أن حط به المقام في الأندلس في حضرة خليفة أندلسي أعجب بفنه، هو الخليفة عبد الرحمن الأوسط الذي وُصفت فترة حكمه بالعصر الأندلسي الذهبي، والتي يؤكد المؤرخون أن قدوم هذا الفنان كان أحد أسباب ازدهارها بالنظر إلى التزاوج الذي أحدثه فنه بالسياسة في تلك الفترة مما ساع على الاستقرار، بل إنه أسس دعائم نهضة اجتماعية بدأها بإشاعة حب الفنون لدى الناس، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترزح بين وطأة الحروب والأمراض، تمكن هذا الفنان من إشاعة فن الإتيكيت لأول مرة، إذ يعود إليه الفضل في تعليم الناس سلوكيات الذوق والأناقة في الهندام والتجميل والنظافة وتصفيف الشعر مستفيدا في ذلك من دراسته لعلوم الكيمياء والنبات، وقد ذاع صيته بعد أن أضاف للعود الوترين الرابع والخامس بعد أن كان يُعزَف بثلاثة أوتار، وهو أول من استخدم ريشة النسر في العزف عليه، إلى جانب أنه كان صاحب أول مؤسسة أكايمية في التاريخ لتعليم الموسيقى في قرطبة والتي لا زالت لوائحها في اختبار المتقدمين معمول بها حتى اليوم.. كان هذا هو الفنان العربي علي بن نافع الملقب ب"زرياب".

5

\* ( تراجم العرب التي حفظت علوم الإغريق)

حين بدأت نهضة العرب والمسلمين في أوائل العصور الوسطى، كان التخلف والجهل يعصف بأوروبا في ذلك الوقت، حيث عمت الفوضى والانغلاق الديني والعزلة التامة عما كان قد تحقق للبشرية من إنجازات في العلوم والفلسفة، إذ كانت أي محاولة تُبذل لأجل ذلك ما تلبث أن تُدان بوصفها كفرا ورجسا من عمل الشيطان، وكانت الخرافة هي المسيطرة إلى جانب الأوبئة والأمراض. وكان العرب قد انطلقوا من ترجمة ما توصل إليه علماء اليونان واللاتين والهند، وخاصة كتب العناصر الثلاث عشرة للحكيم اليوناني أقليدس الذي أنشأ مدرسة الأسكندرية سنة 300 قبل الميلاد، وفي الوقت الذي لم تلق مؤلفات أقليدس اهتماما من قبل الغرب الأوروبي كان حظه أفضل مع العرب الذين أدركوا بحق أهمية إنجازاته العلمية وأجادوا بكفاءة وإتقان دراسة موسوعته، إلى جانب مؤلفات المجسطي في علوم الفلك، فضلا عن دراستهم المتعمقة لعلم الفلك عند الهنود وفلسفة الطبيعيات عند أرسطو، فجعلوا من هذه الحزمة المعرفية منطلقا لإبداعاتهم العلمية، ولولا ترجمات العرب لتلك النتاجات من اللغة اليونانية واللغة الهندية إلى العربية لَمَا حظيت البشرية بالحفاظ على تلك العلوم، وهو ما اعترفت به مجامع الغرب المنصف حين أقرت بفضل الحضارة العربية في ترجمة كنوز اليونان واللاتين إلى لغتهم، ومن ثم حفظتها عبر مراحل الزمن إلى أن بدأ الأوروبيون مع انقضاء العصور الوسطى في ترجمة تلك الكلاسيكيات الثمينة من العربية إلى اللاتينية والى عدد من لغات أوروبا الحديثة. كما أن العرب لم يتوقفوا عند تلك العلوم من منظور الانبهار أو التسليم بل درسوها وعمدوا إلى تصحيح ما وقع فيها من أخطاء وأطلقوا العنان للتطوير والتجديد في مختلف العلوم التي شملت الكيمياء، والفلك، والرياضيات، والطبّ، وغيرها من المجالات الأُخرى، واستمروا كذلك حتى انجلت عصور الظلام الوسطى وبدأت تباشير مرحلة الانبعاث لعصر النهضة الأوروبية التي اتكأت على كل ما قدمه العرب والمسلمون من علوم واختراعات وابتكارات في شتى مناحي الحياة حتى غدا الغرب على النمط الحضاري الذي نراه اليوم.

6

(ثورة العطور)

"لا عطر بعد عروس" مثل قالته عربية تدعى أسماء بنت عبد الله من قبيلة عذرة بعد موت زوج من بني عمها يدعى "عروس" ما يعني أن العطر يمثل عبقا لذكريات الماضي ورمزا للحب والجمال، بل لقد بلغ شغف العرب بالعطور إلى الدرجة التي صوروا فيها معادن البشر بروائح العطور وأثمانها. حين توقفت أنماط تجفيف أوراق النبات ذات الروائح الطيبة ووضعها في الملابس لدى الحضارة الفرعونية والقبرصية اللتين عُرفتا كحضارتين استخدمتا أوراق الورود واهتمتا بالروائح الجميلة فيها، جاء دور العرب ليُحدثوا أنماطا جديدة مثلت ثورة في عالم العطور، فابتكروا طريقة التقطير والعمليات الكيميائية العلمية التي لا زالت حتى يومنا هذا واستفادت منها الاساليب الحديثة في تقطير العطور. وعلى الرغم من أن العطور عُرفت بادىء الأمر في الحضارتين الإغريقية والقبرصية، فإن البخور أول أشكال العطركان قد اكتُشف لدى قدماء العراقيين في حضارة ما بين النهرين قبل نحو أربعة آلاف سنة وجرى التقليد عندهم على حرق أنواع من الراتنجِ والأخشاب في الطقوس الدينية، كما عُرف عنهم فرك أجسامهم بسائل مُعطر يصنعونه من نقع الأخشاب العطرية في خليط من الماء والزيت. ولقد كانت الأزهار مثل الياسمين والبنفسج وزهر الليمون والورد وغيرها، من المصادر المهمة لاستخراج العطور عند العرب، لكن جوهرها يستخرج من مصادر أخرى كالخشب ولاسيما خشب الأرز وخشب الصندل، ومن الأوراق مثل النعناع والغرنوق والخزامى، ومن جذور الزنجبيل والسوسن، ولقد ارتبطت ثورة العرب في صناعة العطور باسمين كبيرين في التاريخ العربي هما جبر بن حيان الذي اكتشف طرقا لفصل المواد الكيميائية مثل التقطير الخالص والتبخير والترشيح، ويعقوب بن إسحاق الكندي الذي عده البعض المؤسس الحقيقي لصناعة العطور، فقد اعتبر بن الجوزي "عطر الغالية" الذي صنعه الكندي من النفائس، وكان الأمير العباسي المقتدر بالله مسرفا في اقتنائها، ويكفي أن العطور ذات الرائحة الطيبة تُخلط بأسمنت الكثير من المساجد حتى تبقى رائحتها عبقه، وبالتالي فإن للعطور حضور في حياة العرب لا يضاهيه حضور.

7

(أول عملة عربية)

حين أطلق العلماء والمفكرون والمخترعون العرب العنان لعقولهم للتنافس في ميادين العلم والمعرفة توصلوا إلى نتاجات نقلت الأمة من قوقعة التبعية إلى واقع التفرد والاستقلال، وكان من ذلك ما احدثوه من نقطة تحول كبيرة للخروج من تبعية الآخرين في التعامل بعملاتهم النقدية إلى الاعتماد على عملة عربية مستقلة بعد أن ظلوا إلى ما قبل العام الثامن عشر للهجرة يتعاملون بعملة النقود الخاصة بالفرس والروم في ذلك الحين، حتى أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد هذا التاريخ بان تضرب دراهم خاصة بالعرب، والتي تطورت لاحقا وأصبحت دنانير في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، واستمر الامر كذلك حتى أنشئت دار جديدة لصناعة النقود في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ومنذ ذلك الحين صار لعملة المسلمين أوزان فضية موحدة، ثم تلتها العملة الذهبية المنقوشة بعبارة (قل هو الله أحد) ومن هنا اصبحت الأمة مستقلة بعملتها بعد كانت عالة على الفرس والروم

8

(قصائد الحب الخالد.. نتاج مشاعر؟ أم خيالات شاعر؟)

تقول بعض المراجع التي وثقت حقيقة ثنائيات الحب الشهيرة التي تداولها العرب منذ القدم وغدت مضرب الأمثال، بأن بعضا منها كانت نسيج خيال الشعراء الخصب، ولم تكن واقعا عاشه طرفا الحكاية كقيس وليلى، والبعض منها كان مبالغا فيه لأنها لم تنته بنهايات الزواج السعيد كما جرى مع جميل جميل وبيثينه، وكُثير وعزة، وعنتر وعبلة التي تضاربت الأنباء حل زواجهما.. فحين قال مجنون ليلى:

**فإن يكُ فيكم بعلُ ليلى فإنني\*\*\*وذي العرش قد قبلت فاهاً ثمانيا**

استبعد كثيرون أن يكون هذا قد حصل، لأسباب كثيرة، منها ان العاشق المتبتل لا يقع في هكذا فعل، إلى جانب أن العرب كانت تغير على أعراضها فكيف يكون الحال وليلى كما جاء في الروايات أنها تزوجت غير بن الملوح، فكيف يُترك وهو يُشبب بفتاة من قبيلة معروفة ولا يلحقه مكروه، لذلك رأى هؤلاء أن قيس بن الملوح ابتكر شخصية ليلى ليضيف إلى شعره تشويقا يُكسبه المعجبين، بل استند البعض إلى ما حكي عن الأصمعي قوله إن أحد رواة بني عامر نفى أنه كن بينهم أي مجنون. والتشكيك في وجود قيس وليلى ينفي وجود قصة حبهما أصلا. والمتتبع لتفاصيل ثنائيات الحب المتداولة بين شعراء قصائد الحب الخالدة يُسلم بأن تلك المبالغات نُسجت من قبل جميل الذي لم يتزوج بثينة أصلا بل تزوجت غيره، وكذلك الأمر مع كُثير الذي لم تكن عزة هي المراة الوحيدة التي نسج قصص حبه لها، أما عنترة فتضاربت الروايات حول زوجه بعبلة، إلا أن أرجحها ترى بأنه تزوجها رغم أنه تزوج بعدها ثمان مرات، ما يعني أن ما نُقل إلينا من قصائد الحب يحتاج إلى كثير من التدقيق للوقوف على مصداقية التفاصيل التي صورها الشعراء عن قصص حبهم.